﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ [الحاقة 48 - 52]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لمّا بيَّن اللّهُ تَعالى أنَّ القرآنَ الكريمَ تنزيلٌ من ربِّ العالمينَ، وذكَرَ الأدلَّةَ على استحالةِ أن يكون النَّبيُّ ﷺ افتراهُ ونسبَهُ إلى اللّه تعالى كذبًا؛ أعقبَهُ بما يُتمِّم المعنى ويُكمِّله، ويؤكِّد الغرض، فلم يَقْتَصِر البيانُ القرآنيُّ على بيان مصدر القرآنِ الكريم، بل بيَّنَ أثرَهُ وثمرتَهُ، فقالَ سُبحانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَحَسۡرَةٌ﴾: (حسر) أصلٌ واحِدٌ، وهو دالٌّ على كَشْفِ الشَّيْءِ، يُقالُ: حَسَرْتُ عن الذِّراعِ، أي: كَشَفْتُهُ، والحاسِرُ: الَّذي لا دِرْعَ عليهِ، ولا مِغْفَرَ[1]، ومنَ البابِ: الحَسْرَةُ، وهي التَّلَهُّفُ على الشَّيْءِ الفائِتِ، وهي أشَدُّ حالاتِ النَّدَمِ حَتّى يبْقى النّادِمُ كالحَسيرِ من الدوابِّ الَّذي لا مَنْفَعَةَ فيهِ[2]، يُقالُ: بَعيرٌ حسيرٌ؛ إذا أتْعَبَهُ السَّيْرُ، فلم تَبْقَ لَهُ قوَّةٌ[3]، والمرادُ بالحَسْرةِ في الآيةِ: شِدَّةُ النَّدمِ مَشوبًا بتلهُّفٍ على نفعٍ فائتٍ[4]، والمرادُ أنّ القرآنَ الكريمَ حسرَةٌ عليهِم في الآخرة؛ لأنَّهم يتأسَّفونَ إذا رأوا ثوابَ المُؤْمِنينَ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يبيِّن اللّهُ تعالى أنَّ هذا القرآن تذكرةٌ يَنْتَفِعُ بها المتَّقون، مع أنَّه لا يخفى عليه مَن يكذِّب بها، وسيكون تكذيبُهم حسرةً ونقمَةً عليهِم يومَ القيامة، فهو الحقُّ الثّابت الذي لا مِرْيَةَ فيهِ، فلْيُسبِّح المؤمنُ ربَّه العظيمَ تنزيهًا له، وتعظيمًا لكلامهِ ووحيهِ[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسر).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (حسر).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (حسر).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 7.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (حسر)، والواحدي، البسيط: 3/ 481، وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 408.
(6) نخبة من علماء التفسير، التفسير الميسر، ص: 568.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

موقع جملة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾:

بلاغة العطف وتأكيدُ المعنى بما يعمُّ التَّبليغ والهداية

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ عُطِف على ما قبلَه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، والضَّمير في الموضعين يعود إلى القرآن الكريم، وهذا العطفُ البلاغيُّ يحمل فائدة عظيمةً؛ إذ يجمَع بين التَّعريف بالقرآن من جهة مصدرِه وطريق تبليغِه في قوله: ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، ومِن جهة أثره ووجهِ الانتفاع به في قوله: ﴿لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، فيكون هذا العطف جامعًا للمعاني المتكامِلَة[1].

دلالة التَّوكيدِ بـ (إنَّ) واللّام:

أُكِّدت الجملةُ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ بـ (إنَّ) و(اللّام)؛ للمبالغَةِ في إثباتِ المنزلةِ العُليا للقرآنِ الكريمِ وعظيمِ أثرِهِ النّافعِ.

سرُّ تنكيرِ لفظِ (تذكرة):

نُكِّر لفظُ (تذكرة) في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾؛ تعظيمًا وتفخيمًا لشأن التَّذكرةِ، فالقرآن الكريمُ تذكرةٌ عُظمى؛ لجمعِه كلَّ خيرٍ ونورٍ وهدايةٍ.

بلاغَةُ التَّعبير بالمَصْدَرِ في قوله: ﴿لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾:

القرآنُ الكريمُ تذكرةٌ دائمةٌ، لا ينقَطِعُ أثرُها إلّا بإعراضِ القُلوب عَنْها

أُخْبِرَ عن القرآن الكريم بالمصدرِ (تذكرة)، في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ﴾، فلم يَرِد في البيان القرآنيِّ: (يذكِّر المتَّقين) أو (مذكِّرٌ للمُتَّقين)؛ تنبيهًا على المُبالغَةِ في الوَصْفِ، وكأنَّ القرآنَ الكريمَ نفسَهُ هو التَّذكير بعينِه، لا مجرَّدُ آلةٍ لَه، وهو مِن أساليبِ البَلاغَة التي تعمِّق المعنى وتكثِّف الأثَر، فالتَّعبير بالمَصْدَرِ يُرسِّخ كونَ القرآنِ الكريم مذكِّرًا بذاته، فمعنى كونِهِ تذكرةً: أنَّه يُذكِّر العباد بما فُطروا عليه، ويوقظ الغافِلين مِن سُباتِهِم، ويبيِّن لهم ما يليقُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 148.

بجلالِ الرَّبِّ وعظيم أمْرِه، فمَهْما كانت حالُ المتلقّي؛ فإنَّ القرآن يبقى تذكرَةً في ذاته، ينتَفِعُ بها مَن شاء أن يتذكَّر، ويُعْرِض عنها مَن غَلَبَت عليه الغَفْلَة[1].

دلالَةُ عمومِ الزَّمن في لفظِ (تذكرة):

هدايةُ القرآنِ الكريمِ لا تنقَطِعُ؛ فمَنِ اتَّقى اللهَ تَعالى وجدَهُ مذكِّرًا له في كلِّ زمانٍ

وُصِفَ القرآن بأنَّه تذكرةٌ في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، أي: أنَّهُ مصدرُ تذكيرٍ، وذلك يَقْتَضي أنَّ تذكيره غيرُ مقيَّد بزمن، بخلاف ما لو عُبِّر بالفعل؛ إذ الفعل يُشْعِر بزمَنٍ وقوعِه، بخلافِ المَصْدَرِ؛ فإنَّهُ لا يدلُّ على اختصاصٍ بزمنٍ، ولذلك يَسَعُ الأزمنَةَ الثَّلاثة: الماضيَ، والحاضِرَ، والمستقبلَ.

أثَرُ القرآنِ الكريم ممتَدٌّ في كلِّ حينٍ

فهو تذكرةٌ للمتَّقين في كلِّ عصر، مَن آمن به أوَّل مرَّة، ومَن تأمَّله لاحقًا، ومن سَيَهْتَدي به بعد حينٍ، فكلُّ مَن اتَّقى، واستعدَّ لاستقبال الموعظة؛ يجِدُ فيه ذِكْرى تهديه، وتنبيهًا يوقِظُه[2].

دلالَةُ اللّامِ في ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

اللّامُ في ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مِنْ قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الاختصاص، فهو يُفيدُ اختصاصَ كمالِ التَّذكير بأهل التَّقوى دون غيرِهم.

دلالَةُ قيدِ نَفْعِ القرآن بالمتَّقين في قوله: ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾:

صلاحُ القلبِ بالتَّقوى شَرْطٌ لانتفاعِهِ بتَذْكِرَةِ القُرآن الكريمِ

قُيِّد نَفْعُ القُرآن الكريم بطائفةٍ مخصوصَةٍ، وهُم المُتَّقون في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، لا لأنَّ التَّذكير لا يتوجَّه إلى غَيْرِهم، بل لأنَّهُم وحدَهُم الذين أدركوا منزِلَتَهُ، وتأهَّلوا للانتفاعِ بهِ، فالتَّقوى تجعَلُ القَلْبَ موطَّنًا على التَّلقّي والخَشْيَة والاستجابة، فالتَّذكرة لا تقع موقعَها في القلب إلّا إذا كان القلب حيًّا بالتَّقوى، وإلّا فهي لا تتجاوَزُ الآذان، وهذا من سُنَن الله تَعالى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 148.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 149.

في كتابِه: أنَّ الهداية لا تكون إلّا لمن يستعدُّ لها، كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: 2][1].

دلالَةُ (أل) في (المتَّقين):

انتفاعُ عُمومِ أهلِ التَّقوى بالقُرآنِ الكَريمِ

(أل) في (المتَّقين) من قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ دالَّةٌ على العموم والاستغراقِ، فالقرآنُ الكريمُ تذكرةٌ وعِظَةٌ لكلِّ مَن اتَّصفَ بصفةِ التَّقوى.

ويجوزُ أن تكون (أل) للكمال، أي: أنَّ كمال التَّذكير بالقرآن الكريم إنَّما يكون لِمَن كَمُلت تقواهُ، وبحسب نقصِ التَّقوى يكون نقصُ التَّذكيرِ.

موقِعُ جملةِ: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ في النَّظم:

بيانُ عاقبةِ المتَّقين والمكذِّبين يزيدُ التَّذكرة أثرًا

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝١٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ جملتانِ مترابِطَتان، جاءت الأولى تمهيدًا للثّانية وتوطئةً لها، وفيها التفاتٌ إلى حالِ المُكَذِّبين؛ تنبيهًا وتحذيرًا، وبيانًا أنَّ الله تَعالى لا يخفى عليه عِنادُهُم، ولا يردُّه علمُه عَن إقامة الحجَّة عليهم، والجملة الثّانية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ﴾ معطوفة على ما قبلها من وصف القرآن بأنَّه تذكرةٌ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ﴾، فجمعت الآيةُ بين وصفٍ نافعٍ للمتَّقين، ووصفٍ ضارٍّ بالكافرين، بطريق التَّضادِّ الذي يُبْرِزُ المعنى بقوَّة، ويزيدُ تأثيرَه، فبَيْنَ الجُمْلَتَين المتعاطِفَتَيْنِ محسِّن الطِّباق بين ﴿لَتَذۡكِرَةٞ﴾ و﴿لَحَسۡرَةٌ﴾، وعليه فإنَّ جملةَ: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ﴾ معترضةٌ بينَ ما قَبْلَها وما بَعْدَها.

دلالَةُ إيرادِ الجُمْلَةِ المُعْتَرِضَة بينَ المُتعاطِفَيْن:

العنايَةُ بتنبيهِ المُكَذِّبين إلى حالِهِم الشَّنيعَةِ

جملةُ: ﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ معترضَةٌ بينَ المَعْطوفَيْن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾،

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 243، وأبو السعود، إرشاد العقل: 9/ 28، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 149.

وتقديمُ جملة الاعتراضِ على ما بَعْدَها اهتمامٌ بتنبيهِ المُكذبين إلى حالِهم، وكانت أيضًا بمنزلةِ التَّتميم لِما قبلها - ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ - والمعنى: إنّا بعثنا إليكم الرَّسولَ بهذا القرآنِ الكريم، ونحنُ نعلَمُ أنَّه سيكون منكم مكذِّبون له وبِهِ، وعِلْمُنا بذلك لَم يَصْرِفْنا عن توجيهِ التَّذكير إليكم وإعادتِه عليكم؛ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: 42][1].

بلاغةُ التَّوكيدِ في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

تتابعَت المؤكِّداتُ في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾، فقد أُكِّدت الجملة بـ (إنَّ) واللّام، و(أنَّ)، واسميَّة الجملة؛ وذلك لتأكيد سعةِ العِلْم الإلهيِّ وإحاطتِه.

الكنايةُ في قولِه: ﴿لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ خبر صريح بإحاطةِ علمِ اللهِ تَعالى بِما في نفوسِهم من التَّكذيب والجحود، وهو علمٌ مقترنٌ بالعَدْلِ في المُحاسبَةِ والعِقاب، وليس علمًا يترتَّب عليه إهمالٌ أو إمهالٌ بلا جزاءٍ، فالكلام كنايَةٌ عَن تهديدٍ ووعيدٍ؛ لأنَّ عِلْمَ اللهِ تَعالى بالتَّكذيب يَسْتَتْبِع بالضَّرورة المجازاة عليه، فالجُمْلَةُ في ظاهِرها خبَرٌ، لكنَّها تَحْمِلُ بين طَيّاتها وعيدًا وإنذارًا شديدًا، وتذكيرًا بأنَّ هذا التَّكذيب لَم يَكُن غائبًا عن علمِ اللهِ تَعالى، بل هو محفوظٌ ومؤجَّلٌ إلى يومِ الجَزاء[2].

التَّصريح بالعلم الإلهيِّ بالمُكذِّبين توطئةٌ للوَعيدِ الصّارم

معنى (مِنْ) ودلالتُها في ﴿لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾:

(مِنْ) في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على التَّبعيضِ، وهو مفيدٌ أنَّ صفةَ التَّكذيبِ لا تَعُمُّ المخاطَبينَ جميعًا.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 149.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 267.

عِلَّةُ وصلِ قولِهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بِما قبله:

أَثَرُ القُرآن الكريمِ؛ نَفْعًا لأهلِ الإيمانِ وخَسارَةً لأهْلِ الكُفْرانِ

وُصِلَ قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالجملة قبله، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾؛ لِما بينَهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ إذ الجملتانِ متَّحدتان خبرًا، وبينَهما تناسُبٌ لفظًا ومعنًى، فأمّا في اللَّفْظِ فاشتراكُهُما في الاسميَّةِ، وتصديرِ كلٍّ مِنْهما بحرف التَّوكيد (إنَّ) ودخول اللّام على خبرها، وأمّا في المعنى فما بينَهُما من بيان أثرِ القرآنِ على صِنفَين متضادَّين، وهم المتَّقون المؤمنون، والكافرونَ المكذِّبونَ.

دلالةُ التَّوكيدِ بـ (إنَّ) واللّام في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ﴾:

القرآنُ الكريمُ رحمَةٌ للمُؤْمنينَ وخسارٌ وحَسْرَةٌ على الكافرينَ

أُكِّد قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بـ (إنَّ) واللّام واسميَّة الجملة؛ للقطْعِ والجزمِ بأنَّ القرآن الكريم الذي هو رحمةٌ للعبادِ؛ سيكونُ سببَ حسرةٍ وندَمٍ في قلوبِ أهل الكُفْرِ، فالقرآنُ الكريم هدايةٌ للمُقْبِلِ عليه، وحسرةٌ على المُعرِض عَنْهُ، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: 82].

سرُّ تنكيرِ لفظِ (حسرة):

عَظَمَةُ حَسْرَةِ الكافرينَ يومَ القيامَةِ

نُكِّر لفظُ (حسرة) في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ لإفادَةِ التَّعظيم والتَّهويل، فالقرآنُ الكريم سيكونُ حسرةً عظيمةً تملأُ القلبَ لا نظيرَ لها، ولا يُدرَكُ كُنْهُها، على أهل الكُفْرِ المعرضينَ عَنْهُ.

دلالةُ حرفِ الجرِّ ﴿عَلَى﴾:

إحاطَةُ الحَسْرَةِ بالكُفّارِ وغَمْرُها لَهُم

﴿عَلَى﴾ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الاستعلاءِ، وهو استعلاءٌ مجازيٌّ؛ إذْ صوِّرتِ الحسرةُ في صورةِ شيءٍ حسّيٍّ يعلو أهلَ الكُفْرِ، ويُحيطُ بهم مِن كلِّ جانبٍ.

غرض إقامة الاسمِ الظّاهر ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بدلَ الضَّمير:

الكُفرُ سببُ الحَسْرَةِ الأبديَّة، والتَّكذيبُ أحدُ مظاهِرِهِ المُستوجِبَة للعَذاب

عُدِلَ عن الضَّميرِ في قول اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وذلك بعدَ أن سبَقَ في الآيةِ قبلُ ﴿أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ إلى الاسم الظّاهر ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فلم يرد في النَّظم القرآنيِّ: (وإنَّه لحسرةٌ عليهم)؛ وذلك لتوسيع دائرة المعنى، فالحَسْرَةُ هنا ليست مقصورةً على المكذِّبين الموجودين حالَ نزولِ الآية، بل هي شاملةٌ لكلِّ مَن اتَّصف بالكُفرِ مِنَ الأمم قاطبَةً، ممَّن سبَق أو لَحِق، فالتَّعبير بـ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يُظهر عِلَّة الحَسْرَة، وهي كفرُهم، لا مجرَّدُ التَّكذيب الظّاهر؛ إذِ الحسرَةُ لا تكون على فَقْدِ شيءٍ يسيرٍ، بل على فواتِ الحَقِّ الذي لم يَقْبَلوهُ، ولَم يُقَدِّروهُ، فكان التَّعبير بهذا اللَّفظ أشدَّ وقعًا وأحكمَ دلالةً[1].

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾:

عِظَمُ الكُفرِ موجِبٌ لكمالِ الحَسْرَة

(أل) في ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ دالَّةٌ على العموم والاستغراقِ، فالقرآنُ الكريمُ حسرةٌ وندامةٌ لكلِّ مَن اتَّصفَ بصفةِ الكُفرِ.

ويَحْتَمِلُ أن تكون (أل) دالَّةً على الكمال، أي: أنَّ كمالَ الحسرةِ يكون لِمَن كَمُل كُفْرُهُ، وعَظُمَ.

موقِعُ جملَةِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾:

اليقينُ بالقرآنِ هو النَّجاة، والتَّكذيب به هو الحَسْرَةُ التي لا تَنْقَضي

قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ معطوفٌ على ما قبله مِن قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وهو عطفٌ يُتمِّم الصّورة البيانيَّة؛ لِما للقرآنِ الكريمِ مِن أثرَيْنِ مُتضادَّين، فهو رحمةٌ للمؤمنينَ، وحسرةٌ على الكافرينَ، وبينَ الجملتينِ تَوسُّط بين الكمالَيْنِ؛ إذ الجملتانِ متَّحدتان خبرًا، وبينَهما تناسبٌ لفظًا ومعنًى، فأمّا في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 149.

اللَّفْظِ فاشتراكُهُما في الاسميَّةِ، وتصديرِ كلٍّ مِنْهما بحرف التَّوكيد (إنَّ) ودخولِ اللّام على خبرها، وأمّا في المعنى فما بينَهُما من بيان أوصافِ القرآنِ الكريم.

مَرْجِعُ الضَّمير في قولِهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾:

القرآنُ حقٌّ لا ريبَ فيه، وحسرتُهم عليه حقٌّ متيقَّن

الضَّمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ يجوزُ أن يكون راجعًا إلى القرآن الكريم، والمعنى: أنَّ هذا القرآن نفسَهُ هو حقُّ اليقين، أي: أعلى مراتبِ الحقِّ، فهو صدقٌ لا مرية فيه، ويقينٌ لا يتطرَّق إليه وهْمٌ.

ويجوزُ أن يكون الضَّميرُ عائدًا على القرآن الكريم باعتبارِهِ حسرةً على الكافرين، والمعنى: إنَّ حَسْرَتَهُم بهِ ليست وهمًا أو تهويلًا، بل هي حقٌّ يقينيٌّ سيتحقَّق لا محالة، ولا مفرَّ لهم مِنْهُ[1].

ولا تنافيَ بينَ المعنَيَيْنِ؛ فالقرآن الكريم هو حقُّ اليقين في نفسِهِ، وكونُهُ حسرةً على الكافرينَ أمرٌ محقَّقٌ لا شكَّ فيه ولا ريْبَ.

دلالةُ التَّوكيدِ بـ(إنَّ) واللّام في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾:

أُكِّد قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ بـ (إنَّ) واللّام واسميَّة الجملةِ؛ للقطْعِ والجزم بأنَّ القرآن الكريم حقٌّ في نفسِهِ، بل في أعلى مراتب الحقِّ، أو أنَّ الجَزْمَ بكونِ القرآن حسرةً على الكافرينَ حقٌّ لا ريبَ فيه ولا مريةَ.

بلاغةُ التَّعبير بـ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾:

القرآنُ الكريمُ تجاوزَ اليقينَ إلى حقِّ اليقينِ

جاء التَّعبير بـ ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾؛ ليبلُغ القَصْدُ غايتَه في التَّوكيد؛ إذْ ليسَ هو مجرَّد يقينٍ، بل هو حقُّ اليقين، أي: اليقين الذي لا يتعلَّق به احتمالُ النَّقيض من أيِّ جهةٍ كانَت، فهو تحقيقٌ فوقَ التَّحقيق، لا تردُّد فيه، ولا يلحَقُهُ أدْنى رَيْبٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 150.

دلالَةُ الإضافَةِ في ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾:

الإضافَةُ في قولِه: ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ من باب إضافةِ المَوْصوفِ إلى الصِّفة، أي أنَّ اليقينَ هو الموصوفُ، والحَقَّ هو صفتُه، والأصل: (اليقينُ الحقُّ)، أي الذي لا يُخالطه شَكٌّ، ولا يعتريهِ وهْمٌ، بل هو أعلى درجاتِ العِلْمِ والقَطْعِ والوُضوح[1].

القرآنُ الكريمُ حـقٌّ في ذاتـه، وهـو الـثّـابـت الـذي لا يعتريهِ وهْمٌ

ويَحْتَمِلُ أن تكونَ الإضافةُ في ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ ليست من إضافَةِ المَوْصوفِ إلى الصِّفة، بل هي من إضافةِ الجِنْسِ إلى نوعه، على طريقة قولهم: خاتمُ فضَّة أو ثوبُ خزٍّ، فالحقُّ أعمُّ من اليقين؛ إذ يشمَلُ أنواعًا متعدِّدة من الثُّبوت والصِّدق، واليقينُ نوعٌ مخصوصٌ منه، فأُضيف العامُّ إلى الخاصِّ؛ تنبيهًا على أنَّ هذا النَّوع - أي اليقين - هو حقٌّ لا شبهةَ فيه.

ومنشأُ الاحتمالِ في الإضافة: أنَّ المضافَ إليه قد يكون مغايرًا للمُضاف، ولا يَصْدُقانِ على ذاتٍ واحدة، وقد يُجانِسُهُ، فيَصْدُقان على مُسَمًّى واحِدٍ، فمَن اعتبَر أنَّ كِلا اللَّفظين - الحق واليقين - قد يصدقان على ذاتٍ واحدةٍ، كما في قولك: العينُ الحَقَّةُ، فهو من الإضافة بين الموصوفِ وصِفَتِه، ومَن اعتبر أنَّ الإضافةَ هُنا تُبيِّن نوعًا مِن جِنْسٍ، لا صفة مِن مَوْصوفٍ، فهو من إضافةِ الجِنْسِ إلى نَوْعِه[2].

وقد ذهَب الكوفيّون إلى أنَّ الإضافة من إضافة الشَّيء إلى نفسِه، قالوا: الأصلُ: الحقُّ اليقينُ، ثُم أُضيف المنعوتُ إلى نعتِه، أي: إنَّ الحقَّ هو اليقين بعَيْنِه، فجُعلت الإضافة لمجرَّد التَّوكيد، والنَّعت هو المنعوت في المعنى، كقولك: نفسُ الإنسانِ[3].

وهذا التَّنوع في التَّقدير البلاغيِّ يُبرز أنَّ العبارة القرآنيَّة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 150.
(2) ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن: 1/ 286.
(3) مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية: 12/ 7693، والشنقيطي، أضواء البيان: 7/ 537.

تستوعِبُ أكثرَ مِن وجه، وجميعها يدلُّ على مبالغةٍ في توصيف اليقين بأنَّه الحقُّ الخالص في ذاته، أو أنَّه أخصُّ أنواعِهِ، أو أنَّه هو عينهُ.

مَعْنى الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾:

من نِعَم اللهِ تَعالى إنزالُهُ القرآنَ وحفظُ نَبيِّه ﷺ، فكانَ التَّسبيحُ أعظمَ الشُّكر وأجملَ الوفاء

افتُتح قولهُ تَعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ بحرفِ الفاءِ دلالةً على التَّفريع، فهو ثمرَةٌ لِما سبَقَ تقريرُهُ مِن حقائِقَ كُبْرى، منها إثباتُ أنَّ هذا القرآنَ الكريمَ تنزيلٌ من ربِّ العالمين، ومنها: تنزيهُ النَّبيِّ ﷺ عَن أن يكون شاعرًا أو كاهنًا أو متقوِّلًا، ومنها: بيان حُجّيَّة هذا القرآنِ الكريم، وعاقبةِ المكذِّبين به، فبَعْدَ أن تبيَّن صِدْقُ هذا النّور، ودُحِضت شبهاتُهُم؛ جاء الأمر بالتَّسبيح تعظيمًا للّهِ تَعالى، وشكرًا له على هذه النِّعمة العُظْمى[1].

دلالة التَّعبير بالتَّسبيح في قوله: ﴿فَسَبِّحْ﴾:

التَّسبيح الجامِعُ للقَوْلِ والاعتقادِ والعَمَلِ

(التَّسبيح) في أصلهِ تنزيهٌ عن النَّقائص، ويشمَلُ أوجهًا متعدِّدة: اعتقاديَّةً، وعمليَّةً، وقوليَّة، ولمّا كان المقامُ مقامَ بيانٍ وبلاغٍ وتسليمٍ لِما أُنزل؛ كان التَّسبيحُ المطلوبُ هنا تسبيحًا لسانيًّا يصدِّقه الاعتقادُ، ويُتوَّج بالشُّكر والطّاعة، ولهذا جاء التَّعبير بـ: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[2].

بلاغَةُ التَّعبير بـ (اسْمِ ربِّك) دون (سبِّح ربَّك):

لا يَكمُلُ تنزيهُ الله تعالى حتّى يُذكَرَ اسمُه على اللِّسان، ويُعظَّمَ بالقولِ والاعتقادِ والعملِ جميعًا

جاء التَّعبيرُ بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ دون (فسبِّح ربَّك) في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ تنبيهًا إلى أنَّ التَّسبيح القوليَّ لا يتحقَّق إلا بذكر الاسمِ اللَّفظيِّ للّهِ تَعالى، فلا يكفي فيه مجرَّدُ الاعتقاد القلبيِّ أو المعنى الذِّهنيِّ، بل لا بُدَّ مِن أن يَجْري الاسمُ على اللِّسان، وهذا أدقُّ في حراسة المقصودِ مِنَ التَّسبيح وإظهارِهِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 151.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 151.

دلالَةُ وصْفِ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ في هذا المقام:

التَّسبيح عند العظيمِ أعظَمُ في الأثَـر، وأجلُّ فـــي تـحـقـيـقِ الواجبِ

وَصْفُ الرَّبِّ بـ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ في قوله تَعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لَفْتٌ إلى جلالِ المنزَّه، وشدَّة افتقار العباد إليه، وعِظم نِعَمِه الموجِبَةِ للتَّسبيح، والتَّسبيح عند العظيم أعظم في الأثر، وأجلُّ في تحقيقِ الواجبِ[1].

التَّناسُبُ بينَ خاتِمَةِ السّورةِ ومُفْتَتَحِها:

القـرآنُ الكريم وحـدةٌ متكامِلَةٌ متناسِبَةٌ

ذكر اللّه تعالى في أوَّل السّورةِ الحاقَّةَ، وذكر طرفًا من عقوبة المكذِّبين بها في الدُّنيا، فذكر ثمودَ وعادًا، فقال سُبحانَهُ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، ثُمَّ ذكر جزاء المؤمنين بها والمكذِّبين بها في الدّار الآخرة، فقال سُبحانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ الآيات.

ثُمَّ ذكَر في خِتام السّورة المؤمنينَ والمكذِّبين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وذكر أنَّ عاقبة المكذِّبين الحسرَةُ، فقال سُبْحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ثُمَّ أمر المؤمنَ بتسبيح ربِّه في كلِّ ما يفعل، ومن ذلك ما يُجازي بهِ عبادَهُ، فقالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 385.
(2) فاضل السامرائي، التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ص: 79 - 80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"